On Research Center for Scientific Research and Consultations

مركز أون ريسيرش للبحوث العلمية والاستشارات

الأوليغارشية الرقمية العالمية واستعمار الوعي الخوارزمي

(آليات تمركز القوة التكنولوجية والإخضاع المُستَدمَج في الفضاء الرقمي المُعولم)

د.سيف ضياء دعير

كراسات استراتيجية

يناير ٢٠٢٦

الناشر

مركز أون ريسيرش للبحوث العلمية والاستشارات

القاهرة – جمهورية مصر العربية

حقوق النشر والطبع محفوظة

On Research Center for Scientific Research and Consultations

Cairo, Arab Republic of Egypt

Copyright © All rights reserved

Web: https://onresearch.org/

Email: info@onresearch.org

يناير ٢٠٢٦

مركز أون ريسيرش للبحوث العلمية والاستشارات

كراسات استراتيجية

مركز أون ريسيرش للبحوث العلمية والاستشارات

الأوليغارشة الرقمية العالمية والاستعمار الخوارزمي للوعي

(آليات تمركز القوة التكنولوجية والإخضاع المُستدمَج في الفضاء الرقمي المُعولم)

إعداد

د. سيف ضياء دعير

جامعة النهرين – دولة العراق

تصميم و إخراج فني : أ- آية الأشعل

تدقيق لغوي : أ- الزهرة داردار

الفهرس

العنوان	رقم الصفحة
الملخص	6
المقدّمة	8
الأهمية البحثية	10
الفرضية البحثية	11
الفرضية الأولى (البُعد البنيوي–التقني)	11
الفرضية الثانية (البُعد اللغوي–الرمزي)	11
الفرضية الثالثة (البُعد القيمي–السلوكي)	11
الفرضية الرابعة (البُعد الاقتصادي–الثقافي)	11
الفرضية الخامسة (البُعد الاجتماعي)	11
المحور الأول: الأُطر المفاهيمية والنظرية للهيمنة الرقمية وتحولات النسيج الاجتماعي	12
1. الأوليغارشية الرقمية العالمية	12
2. الهيمنة الثقافية في الفضاء الرقمي	13
3. النسيج الاجتماعي ورأس المال الاجتماعي	13
4. دول الجنوب واللاعدالة الرقمية: من فجوة الولوج إلى تبعية الإنتاج الرمزي في ظل الأوليغارشية الرقمية	13
5. ديناميكيات التأثير و إعادة تشكيل الوعي الشبابي العابر للحدود	14
فضاء لتداول المعلومات	15
المحور الثاني: المستوى اللغوي– الرمزي في الفضاء الرقمي السيبراني	15
المحور الثالث: آليات السيطرة الرقمية على الصناعات الثقافية الأوليغارشية العالمية وديناميكيات تطبيع القيم الغربية في البنى الاجتماعية الجنوبية).	17

العنوان	رقم الصفحة
أولاً: البُعد القيمي–السلوكي — هندسة الوعي وإعادة برمجة المنظومات الإدراكية	18
ثانياً: البُعد الاقتصادي الثقافي — احتكار إنتاج المعنى وتجفيف منابع الإبداع المحلي	19
المحور الرابع: دينامية القوة الناعمة الرقمية وآليات التثقيف الترفيهي (من الهيمنة المباشرة إلى الاستعمار الذاتي).	21
الخاتمة والتوصيات	23
آولاً : التوصيات السياساتية – نحو أجندة تنموية رقمية متكاملة	23
1. السيادة على البنية التحتية الرقمية والبيانات.	23
2. الأطر التنظيمية والحوكمة الرشيدة للمنصات.	24
3. التربية الرقمية النقدية وبناء رأس المال البشري.	24
4. السياسات الثقافية والإعلامية الرقمية:	24
5. الحوكمة التشاركية والإشراك المجتمعي.	24
ثانياً : الأفق البحثي والدعوة إلى التراكم المعرفي	25
ثالثاً: الخلاصة الختامية: نحو عقد اجتماعي رقمي جديد.	25
المصادر	27

الملخص :

تعد هذه المساهمة البحثية حلقة جديدة ضمن مسار بحثي ممتد يسعى إلى تفكيك أنماط الهيمنة البنيوية التي يمارسها عالم الشمال المتقدم على مجتمعات الجنوب النامي، إذ ينتقل التحليل من الاختلالات الهيكلية في منظومة التجارة الدولية إلى استجلاء آليات الهيمنة الرقمية وصعود الأوليغارشية التقنية العالمية، بوصفها الحلقة الأحدث في سلسلة السيطرة التي راكمها المركز الغربي تاريخيا؛ وإذا كانت الدراسة السابقة قد كشفت عن اختلالات عميقة في بنية التجارة الدولية وآليات توزيع القيمة ضمن سلاسل الإنتاج العالمية، فإنّ هذه الدراسة تستكمل ذلك المسار عبر تتبّع الكيفية التي تتحول بها الهيمنة الإقتصادية إلى هيمنة رقمية وثقافية ومعرفية، تتسلّل إلى النسيج الإجتماعي وتعيد هندسة الوعي والتمثّلات والقيم؛ وفي هذا الإطار يقدّم مفهوم "الأوليغارشية الرقمية العالمية" أداة تحليلية مركزية، حيث تنتقل آليات النفوذ من السيطرة على الموارد والأسواق إلى التحكم في قنوات الإتصال والبنى التحتية للشبكات والخوارزميات المنظمة لتدفق المعنى والمعرفة؛ إذ تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أنّ الفضاء الرقمي ليس حيزاً محايداً أو مجالاً مفتوحاً للتعبير الحر، بل امتدادا جديدا للتراتبية العالمية يُعاد إنتاجها في واجهات تكنولوجية براقة، محمّلة بمنطق القوة ذاته الذي حكم النظام التجاري غير المتكافئ، ومن ثمّ يغدو "الإستعمار الرقمي" امتداداً ناعماً للإستعمار الاقتصادي تُستبدل فيه السيطرة على الموانئ والممرات التجارية بالتحكم في المنصّات والخوادم ومصادر البيانات الضخمة، لذا تسعى الدراسة إلى تجاوز الوصف نحو الربط بسؤال التنمية والسيادة، عبر استكشاف كيفية إسهام هذه التحولات في تعميق الفجوات الاجتماعية والمعرفية، وإعادة إنتاج التبعية ضمن قوالب رقمية مستحدثة، كما تستطلع إمكانات بناء سياسات رقمية وتنموية بديلة تعزّز السيادة المعرفية والثقافية، وتفتح أفقاً لتوظيف التكنولوجيا في خدمة مشاريع تنموية ذاتية المنشأ، وبذلك يتكامل هذا العمل مع سلسلة الأبحاث حول البنى اللامتماثلة في النظام العالمي، مُظهراً أن المنطق الحاكم لتوزيع القيمة في التجارة الدولية هو ذاته الذي يحكم توزيع المعرفة والرموز في الفضاء الرقمي، بما يجعل من فهم الأوليغارشية الرقمية شرطاً لازماً لاستيعاب آليات الهيمنة المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الأوليغارشية الرقمية العالمية؛ الاستعمار الخوارزمي للوعي؛ الإخضاع المُستَدمَج؛ هندسة الوعي الجمعي؛ اقتصاد الانتباه.

(6)

Abstract:
This research contribution is a new link within an expanded research path that seeks to dismantle the structural dominance patterns practiced by the advanced northern world over developing southern societies. Digital domination and the rise of the global technical oligarchy, as the latest link in the chain of control that has historically accumulated in the Western Center; If the previous study reveals profound imbalances in the structure of international trade and value distribution mechanisms within global production chains, then this study complements this path by tracking how economic dominance has turned into digital, cultural and cognitive dominance. social fabric, re-engineering of awareness, representations and values; In this context, the concept of digital "digital few" is a central analytical tool, where the influencing mechanisms are transmitted from resource and market control to communication channels, network infrastructure, and organized algorithms for meaning and knowledge flow. The study stems from the hypothesis that digital space is not a neutral space or an open space for freedom of expression, but a new extension of the global hierarchy that has been reproduced in bright technological interfaces, loaded with the same power logic that controls the trade system. unequal. Hence, "digital colonialism" becomes a simple extension of economic colonization, where ports and trade paths are replaced by control of platforms, servers and huge data sources. By exploring how these shifts contribute to deepening social and knowledge gaps, and reproducing dependency within newly developed digital templates, they also explore the possibility of building alternative digital and development policies that enhance knowledge and cultural sovereignty, and open a horizon for use. Technology in the service of autonomous development projects, thus integrating this work with a series of research on asymmetric structures in the global system. Digital oligarchy is a necessary condition for accompanying the mechanisms of contemporary hegemony.

Keywords: Global digital oligarchy; algorithmic colonization of consciousness; internalized subjugation; engineering of collective consciousness; attention economy.

المقدّمة:

يشهد العالم منذ مستهل الألفية الثالثة تحولاً بنيوياً عميقاً، ناجماً عن التداخل المتسارع بين الثورة الرقمية ومختلف مجالات الحياة الإنسانية: (الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، والسياسية)، ولم يعد الفضاء الرقمي مجرد بُعد تقني مكمّل للواقع المادي، بل غدا بنية تحتية محورية لإنتاج القيمة، وصياغة المعنى، وممارسة السلطة في آن واحد، ومن ثم بات من المتعذر الحديث عن التنمية بأبعادها المتعددة بمعزل عن التحول الرقمي وما يرتبط به من منصات، وخدمات، ومنظومات معرفية رقمية؛ في هذا السياق، برزت منصات التواصل الاجتماعي بوصفها واحدة من أكثر الفضاءات الرقمية تأثيراً في إعادة تشكيل أنماط التفاعل الإجتماعي، وبناء الرأي العام، وتداول السرديات والهويات، ولا سيما في أوساط فئة الشباب، وقد رافق هذا التحولَ خطاب تنموي احتفائي، قدم التكنولوجيا الرقمية بوصفها أداة حيادية وواعدة لتجاوز إخفاقات نماذج التنمية التقليدية، وتوسيع فرص التعليم والعمل، وتعزيز المشاركة المدنية والسياسية، فضلاً عن رفع كفاءة الخدمات العامة؛ بيد أن هذا الخطاب التفاؤلي كثيراً ما يتجاهل البنية العالمية غير المتكافئة التي يجري ضمنها هذا التحول الرقمي والتي تُعيد إنتاج علاقات القوة التاريخية بين الشمال والجنوب العالميَّين في قالب رقمي مستحدث. فالمنظومة الرقمية التي يُفترض أنها توفر نفاذاً متكافئاً إلى الموارد المعرفية والفرص التواصلية، تخضع في حقيقة الأمر لسيطرة عدد محدود من الشركات التكنولوجية العملاقة العابرة للحدود المتمركزة جغرافياً واقتصادياً في دول الشمال العالمي، ويمنح هذا التمركز تلك الشركات قدرة هائلة على توجيه مسارات التطور الرقمي العالمي، والتحكم في تدفقات المعلومات والمعاني والقيم الثقافية، إذ انصب جزء كبير من أدبيات التنمية الرقمية على مفهوم "الفجوة الرقمية(Digital Divide) "، بوصفها فجوة في النفاذ إلى البنى التحتية الرقمية والخدمات الأساسية، كالإنترنت، والأجهزة الذكية، والمهارات التقنية الأولية؛ إلا أن ما يتبلور تدريجياً في الواقع العالمي يتجاوز هذه الفجوة الكمية إلى ظاهرة أشد تعقيداً ، يمكن وصفها بـ"الأوليغارشية الرقمية العالمية " (Global Digital Oligarchy)؛ أي حالة من الاحتكار البنيوي لمقومات الفضاء الرقمي من قِبَل قلة من الفاعلين الاقتصاديين الكبار، يتمثلون في شركات تكنولوجية عملاقة ومنصات رقمية مهيمنة، ويترتب على هذا الاحتكار سيطرة شبه مطلقة على البيانات، والخوارزميات، والأطر المرجعية التي تُصاغ ضمنها المعاني والقيم المتداولة رقمياً ، ويمكن رصد مظاهر هذه الهيمنة الرقمية من خلال التفاوت البنيوي الجلي بين مجتمعات الشمال والجنوب العالميَّين، والذي تكشف عنه البيانات والإحصاءات المتعلقة بملكية المنصات، وتوزيع البنية التحتية الرقمية، والقدرة على إنتاج المحتوى والتحكم فيه، كما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم (1): هيكل ملكية المنصات الرقمية العالمية والتحكم فيها

مؤشر التحكم	دول الشمال (%)	دول الجنوب (%)
ملكية المنصات الرقمية الكبرى	%94.3	%5.7
براءات اختراع تقنيات البرمجيات الاجتماعية	%91.7	%8.3
تركز مراكز البحث والتطوير	%88.6	%11.4
القرارات المتعلقة بسياسات المحتوى	%92.7	%7.3
تطوير خوارزميات الذكاء الاصطناعي	%89.3	%10.7

المصدر: الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على:

(1). Organisation for Economic Co-operation and Develop- ment (OECD): Digital Governance Indicators, Global Own-ership and Governance of Digital Platforms Report (Paris: OECD Publishing, Document No. OECD-DEO-2023-117).

(2). World Economic Forum: Global Technology and Digital Workforce Report (Davos: Forum International Publications No. WEF-DGT-2024-03).

في هذا الإطار، لا تعمل منصات التواصل الاجتماعي بوصفها مجرد "أدوات تقنية محايدة" لنقل المحتوى الذي يختاره المستخدمون بحرية تامة، بل بوصفها فواعل وسيطة ذات نفوذ(Powerful Intermediaries)، تتحكم عبر خوارزمياتها ونماذج أعمالها القائمة على اقتصاد الانتباه (Attention Economy) وجمع البيانات، في ما يُعرَض وما يُهمَّش، وفي ما يُبرَز وما يُدفَع إلى الظل، ولا يقتصر هذا التحكم على البعد الاقتصادي والإعلاني، بل يمتد إلى البعد الرمزي والثقافي؛ حيث تُعاد صياغة الأذواق والاهتمامات، وتمثلات الذات والآخر، ضمن أفق قيمي محدد يغلب عليه الطابع الاستهلاكي والفرداني المرتبط بالمركزية الثقافية الغربية؛ أما في دول الجنوب العالمي، فتتخذ هذه التحوّلات بعداً تنموياً مركباً وإشكالياً في آن واحد، فمن ناحية تحتاج هذه الدول إلى اللحاق بركب التحول الرقمي تفادياً لمزيد من التهميش الاقتصادي والتقني والمعرفي، مما يدفعها إلى تبني سياسات تشجع على انتشار الإنترنت والمنصات والخدمات الرقمية، ومن ناحية أخرى، يحدث هذا التبني غالباً في ظل شروط تبعية هيكلية للمنصات والخدمات المُنتَجة والمُتحكَّم بها من دول الشمال، مع ما يرافق ذلك من هشاشة في السيادة الرقمي (Digital Sovereignty) ، وضعف في القدرة على ضبط تدفق المحتوى وحماية النسيج الاجتماعي من الآثار السلبية المحتملة للهيمنة الثقافية الرقمية، وتتجسد هذه الإشكالية بوضوح خاص لدى فئة الشباب؛ إذ يشكل الشباب في كثير من دول الجنوب العالمي نسبة ديموغرافية وازنة، على اعتبارهم رصيداً استراتيجياً لأي مشروع تنموي طويل الأمد، وفي الوقت ذاته هم الفئة الأكثر كثافةً في استخدام المنصات الرقمية، والأشد عرضة للتأثر بأنماط الاستهلاك والقيم والهويات المُعولَمة التي تنتشر عبرها؛ من هنا، يغدو السؤال التنموي الجوهري أكثر إلحاحاً : هل تُسهم البيئات الرقمية الراهنة في تعزيز رأس المال البشري والإجتماعي في دول الجنوب، أم أنها تُعيد تشكيله وفق منطق استهلاكي فرداني هشّ، قد يُضعف القدرة على بناء مشاريع تنموية جماعية مستدامة؟

يمثل هذا التساؤل المنطلق الأساسي لهذه الدراسة، التي تسعى إلى استقصاء العلاقة الجدلية بين التحول الرقمي والتنمية في سياق دول الجنوب العالمي، مع التركيز على فئة الشباب بوصفهم الشريحة الأكثر تفاعلاً مع الفضاء الرقمي، والأكثر تأثراً بتداعياته الثقافية والاجتماعية.

الأهمية البحثية:

شهد العقدان الأخيران تحولات جذرية في بنية النظام العالمي، لم تعد فيها القوة العسكرية أو الاقتصادية الكلاسيكية المحدّد الوحيد لموازين القوى الدولية، بل برزت القوة الرقمية بوصفها محوراً استراتيجياً جديداً لإعادة إنتاج الهيمنة وترسيخ التراتبيات العالمية، وفي قلب هذا التحوّل، تشكلت "الأوليغارشية الرقمية العالمية" تكتّل محدود من الشركات التكنولوجية العملاقة التي استطاعت احتكار البنى التحتية الرقمية، والسيطرة على تدفقات البيانات، والهيمنة على أنماط إنتاج المحتوى الثقافي وتوزيعه على النطاق الكوني، غير أنّ الأدبيات العلمية المتراكمة حول ظاهرة الهيمنة الرقمية رغم ثرائها النظري لا تزال تعاني من فجوة معرفية جوهرية تتمثّل في محدودية الاستقصاء العميق للآليات الخفية التي تُمارَس عبرها هذه الهيمنة في البُعد الثقافي–الرمزي واللغوي، وتأثيراتها البنيوية طويلة الأمد على النسيج الاجتماعي و رأس المال الاجتماعي والوعي الجمعي لمجتمعات الجنوب العالمي، خاصة في السياقات العربية والإسلامية؛ فمعظم الدراسات السابقة ركّزت على الأبعاد التقنية والاقتصادية للفجوة الرقمية، أو على المقاربات القانونية لحماية البيانات، دون الخوض في التداعيات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية العميقة لهذه الظاهرة؛ من هنا، تنطلق هذه الدراسة من إشكالية مركزية مفادها: كيف تُمارس الأوليغارشية الرقمية العالمية هيمنتها الثقافية والرمزية على مجتمعات الجنوب؟ وما الآليات الخوارزمية والاقتصادية–الثقافية التي تُوظّفها لإعادة هندسة المنظومات القيمية والهُويّاتية؟ وإلى أي حد يُفضي هذا الاختراق الرمزي إلى تآكل النسيج الاجتماعي وتقويض رأس المال الاجتماعي في هذه المجتمعات؟ وما السبل الممكنة لبناء سيادة ثقافية رقمية تصون الخصوصيات الحضارية دون انقطاع عن المشترك الإنساني؟

وتتفرّع من هذه الإشكالية الرئيسة مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تُوجّه المسار البحثي:

– على المستوى البنيوي: كيف يُعيد التمركز في البنية التحتية الرقمية إنتاج علاقات التبعية بين الشمال والجنوب في صيغ مستحدثة؟

– على المستوى اللغوي–الرمزي: ما طبيعة الهيمنة اللغوية في الفضاء الرقمي؟ وكيف تُسهم في إقصاء اللغات المحلية وتهميش السرديات الثقافية الأصيلة؟

– على المستوى القيمي–السلوكي: بأي آليات تُمارَس "هندسة الوعي الخوارزمية"؟ وكيف تُعيد برمجة الأنساق الإدراكية الجمعية للأجيال الناشئة؟

– على المستوى الاقتصادي–الثقافي: كيف يُترجم احتكار منصّات البث الرقمي العالمية لإنتاج المحتوى الثقافي إلى أنماط من الاستعمار الذاتي للوعي؟

– على المستوى الاجتماعي: ما انعكاسات هذه الهيمنة الرقمية على رأس المال الاجتماعي وأنماط التضامن المجتمعي والعلاقات الأسرية في مجتمعات الجنوب؟

الفرضية البحثية:

انطلاقاً من الإشكالية المطروحة والفجوات المعرفية المحددة، تقوم فرضية مركزية مفادها : تُمارس الأوليغارشية الرقمية العالمية هيمنةً بنيوية متعددة الأبعاد على مجتمعات الجنوب، تتجاوز السيطرة التقنية والاقتصادية لتطال جوهر المنظومات الثقافية والقيمية والهُويّاتية، عبر آليات خوارزمية واقتصادية–ثقافية تُعيد إنتاج علاقات التبعية الرمزية وتُقوّض رأس المال الاجتماعي والقدرة على التنمية المستقلة؛ وتتفرّع عن هذه الفرضية المركزية فرضيات فرعية تُوجّه المسار التحليلي للدراسة:

–الفرضية الأولى (البُعد البنيوي–التقني):

يُشكّل تمركز السيطرة على البنية التحتية الرقمية (كوابل، مراكز بيانات، خدمات سحابية) في قبضة عدد محدود من التكتلات التكنولوجية الغربية نمطاً مستحدثاً من "الاستعمار الرقمي للبيانات"، يُفضي إلى تبعية بنيوية تُعيق قدرة دول الجنوب على بناء سيادة رقمية وطنية.

–الفرضية الثانية (البُعد اللغوي–الرمزي):

تُمارَس الهيمنة اللغوية في الفضاء الرقمي بوصفها آلية ممنهجة للإقصاء الثقافي والمعرفي، إذ تُسهم سيطرة اللغة الإنجليزية على أكثر من 67% من المحتوى الرقمي العالمي في تهميش اللغات المحلية واختزال التنوع الثقافي، بما يُرسّخ "التبعية الرمزية"ويُضعف القدرة على الإنتاج المعرفي المستقل.

–الفرضية الثالثة (البُعد القيمي–السلوكي):

تُوظّف الخوارزميات الرقمية وآليات " اقتصاد الانتباه" في عملية منهجية لـ"هندسة الوعي الجمعي"، عبر تضخيم أنماط محددة من المحتوى (الاستعراضي، الاستهلاكي، المُستقطِب) وتهميش المحتوى المعرفي والتنموي، بما يُعيد برمجة المنظومات القيمية للأجيال الناشئة في دول الجنوب وفق نماذج غربية ما بعد حداثية.

–الفرضية الرابعة (البُعد الاقتصادي–الثقافي):

يُفضي احتكار منصّات البث الرقمي العالمية (Netflix, Disney+, Amazon Prime) لـ82% من تدفّقات المحتوى الثقافي العالمي إلى "استعمار ناعم للوجدان"، يُقوّض الصناعات الثقافية المحلية ويُكرّس "الاستعمار الذاتي"إذ يتبنّى المستخدمون طواعيةً القيم والنماذج الثقافية المُهيمنة دون إكراه خارجي مباشر.

–الفرضية الخامسة (البُعد الاجتماعي):

تُسهم الهيمنة الرقمية في تآكل رأس المال الاجتماعي في مجتمعات الجنوب، عبر إضعاف الروابط التضامنية التقليدية، وتشظّي الهويات الجماعية، وتراجع الثقة بالمؤسسات المحلية، لصالح هويات رقمية عابرة وهشّة، بما ينعكس سلباً على قدرة هذه المجتمعات على التعاون الجمعي ومواجهة التحديات التنموية.

المحور الأول: الأُطر المفاهيمية والنظرية للهيمنة الرقمية وتحولات النسيج الاجتماعي

يستوجب المنهج العلمي الرصين، قبل الولوج في تفاصيل هذه الدراسة ومساراتها التحليلية المركبة، إرساء أُطر مفاهيمية واضحة المعالم تشكل القاعدة النظرية التي تنهض عليها الفكرة المركزية للبحث، فالتأطير النظري الدقيق ليس مجرد إجراء منهجي شكلي، بل يمثل ركيزة معرفية جوهرية تضبط المسار البحثي وتضمن اتساقه المفاهيمي وصرامته التحليلية، إذ تتموضع هذه الدراسة عند تقاطع حقول معرفية متعددة تشمل (علم الاجتماع الرقمي، الاقتصاد السياسي للتكنولوجيا، ودراسات الهيمنة الثقافية)، مما يستدعي بناءً مفاهيمياً متيناً يستوعب تعقيدات الظاهرة المدروسة، إنّ فهم آليات الهيمنة الرقمية وتأثيراتها على البنى الاجتماعية في دول الجنوب يتطلب استحضار منظومة متكاملة من المفاهيم التحليلية التي تتجاوز المقاربات التقنية الضيقة، لتستكشف الأبعاد الاقتصادية والثقافية والرمزية للتحولات الجارية؛ لذا، سنتناول في هذا المحور خمسة أُطر مفاهيمية أساسية تمثل العدة النظرية للدراسة: **أولاً**، مفهوم "الأوليغارشية الرقمية العالمية" الذي يُفسّر بنية تمركز القوة التكنولوجية والاقتصادية؛ **ثانياً**، "الهيمنة الثقافية في الفضاء الرقمي" وآليات إنتاج الرضا الرقمي؛ **ثالثاً**، "النسيج الاجتماعي ورأس المال الاجتماعي" في سياق التحولات الرقمية؛ **رابعاً**، "اللاعدالة الرقمية والتبعية الرمزية" في دول الجنوب؛ **وخامساً**، "ديناميكيات إعادة تشكيل الوعي الشبابي" عبر المنصات الرقمية؛ هذه المفاهيم مجتمعة ترسي قاعدة معرفية متماسكة تمكن من تحليل نقدي عميق للظاهرة الرقمية وتداعياتها المجتمعية، وكما يلي:

1. الأوليغارشية الرقمية العالمية :

تعرف بوصفها بنية مركزة من القوة الاقتصادية،التقنية، والرمزية تحتكرها نخبة محدودة من المنصات التكنولوجية الكبرى (Meta، Google، X، TikTok)، التي تتحكم في البنى التحتية للاتصال وتدفقات البيانات والمحتوى على المستوى الكوني، بما يتيح لها إعادة تشكيل أنماط التواصل والاستهلاك والمعرفة والقيم في الفضاء الرقمي[1]؛ ويتقاطع هذا التصوّر مع أدبيات اقتصاد المنصات (Platform Capitalism) التي ترى في هذه الشركات بنى وسيطة احتكارية تحقق أرباحاً استثنائية عبر السيطرة على نقاط العبور الرقمية بين المستخدمين والمعلنين ومقدمي الخدمات ، وكذلك مع مفهوم رأسمالية المراقبة (Surveillance Capitalism) التي تحوّل السلوك البشري إلى مادة خام تستخرج منها البيانات من أجل التنبؤ والتأثير الربحي في السلوك المستقبلي [2]، في هذا الإطار، لا يعود المستخدم فاعلاً استهلاكياً فحسب، بل يتحول فعلياً إلى منتج دائم للبيانات ومصدر لقيمة اقتصادية، في علاقة غير متكافئة تشبه أنماط التبعية التي عرفت تاريخ العلاقة بين المركز والأطراف في الاقتصاد العالمي.

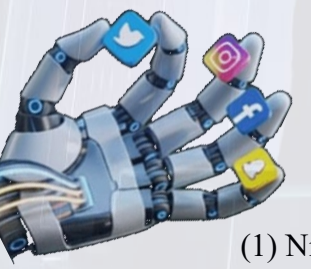

(1) Nick Srnicek: Platform Capitalism, (Polity Press, 2017), pp. 36-42.

(2) Shoshana Zuboff: The Age of Surveillance Capitalism: The Fight for a Human Future at the New Frontier of Power, (PublicAffairs ,2019), pp. 8-12.

2. الهيمنة الثقافية في الفضاء الرقمي :

ينطلق التحليل من مفهوم "الهيمنة" كما صاغه أنطونيو غرامشي، حيث تُمارَس السيطرة الاجتماعية لا فقط عبر "الإكراه"، بل أساساً عبر بناء "رضا" ثقافي واجتماعي بمنظومة القيم السائدة [3]، وعند نقله إلى البيئة الرقمية، يمكن الحديث عن هيمنة ثقافية رقمية تتمثّل في قدرة فاعلين مهيمنين (شركات ومنصات) على تشكيل الأطر المرجعية والرموز والمعاني المتداولة عبر الشبكات، بحيث تُستبطَن بوصفها طبيعية أو مرغوبة دون وعي نقدي واسع بمصادرها وحدودها، في هذا السياق تصبح الخوارزميات أداة مركزية في تنظيم الرؤية، عبر تحديد ما يظهر للمستخدمين وبأي وتيرة وبأي سياقات يُربط، ما يجعل من "الوساطة الخوارزمية" آلية حاسمة في إنتاج الرضا أو التطبيع مع أنماط معينة من القيم والتمثيلات[4] .

3. النسيج الاجتماعي ورأس المال الاجتماعي:

يُعرَّف النسيج الاجتماعي في سياق هذه الدراسة بوصفه منظومة العلاقات والروابط والتضامنات والمعايير المشتركة التي تُتيح قدراً من التماسك المجتمعي، وتمكِن من التعاون الفعال وإدارة النزاعات بآليات سلمية؛ ويتقاطع هذا التصوّر تقاطعاً مباشراً مع مفهوم "رأس المال الاجتماعي" كما بلوره كولمان، والذي يُشير إلى مجموع الموارد الفعلية والكامنة المرتبطة بامتلاك شبكة مستدامة من العلاقات ذات الطابع المؤسسي المتفاوت [5]؛ وقد أسهم بوتنام في أعماله المرجعية حول تآكل المشاركة المجتمعية في الكشف عن أنّ التحوّلات الطارئة على أنماط التواصل قد تُفضي إلى تراجع الثقة المتبادلة وضعف الالتزام بالمشاريع الجماعية، وهو ما ينعكس سلباً على الأداء الديمقراطي ومسارات التنمية [6]، وفي ضوء ذلك، يطرح الفضاء الرقمي تساؤلاً محورياً: هل يُسهم في تعميق هذا التآكل، أم يُهيّئ الظروف لبناء أشكال مستحدثة من رأس المال الاجتماعي العابر للحواجز الجغرافية والثقافية؟ كما يُثير تساؤلات جوهرية حول مآلات هذا الرأسمال: هل تُعزز المنصات الرقمية كثافة الروابط وعمقها، أم تدفع نحو تفكّك البنى التقليدية لصالح هويّات رقمية هشّة سريعة التبدّل؟ وكيف تؤثر في أنماط الثقة بالمعلومة والمؤسسات على حد سواء؟

4. دول الجنوب واللاعدالة الرقمية: من فجوة الولوج إلى تبعية الإنتاج الرمزي في ظل الأوليغارشية الرقمية:

لا تنحصر "اللاعدالة الرقمية" في الفجوة التقنية المرتبطة بإمكانات الاتصال بالإنترنت، بل تمتد لتشمل اختلالات بنيوية أعمق في القدرة على "الإنتاج الرمزي" للمعنى والمحتوى والتمثيلات، وفي توزيع الحضور اللغوي والسردي داخل الفضاء الشبكي؛ ففي هذا السياق تتحول دول الجنوب إلى فاعل "مستهلِك ومتلق" بالأساس للخطابات والصور والرموز المنتجة في الشمال، بما يرسخ

(3) Antonio Gramsci: Selections from the Prison Notebooks, (International Publishers, 1971), pp. 145–173.
(4)Tarleton Gillespie: Custodians of the Internet: Platforms, Content Moderation, and the Hidden Decisions That Shape social media, (Yale University Press,2018), pp. 55-74.
(5)James Coleman: Social Capital in the Creation of Human Capital, (American Journal of Sociology, Vol. 94, Supplement 1988), p. 98.
(6)Robert Putnam: Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community, (Simon & Schuster, 2000), pp. 15-28.

أشكالاً من "التبعية الرمزية الجديدة" التي تتسرب آثارها إلى منظومات القيم وأنماط العيش والعلاقات الاجتماعية[7]، وقد طور "نِك كولدري ،وأوليسيس ميخياس" أطروحة "الاستعمار الرقمي للبيانات" لوصف أنماط مستحدثة من الهيمنة تقوم على استخلاص البيانات من الأفراد والجماعات وتحويلها إلى مورد مباشر للربح والسلطة، بهذا المعنى تعاد إنتاج علاقات غير متكافئة بين المركز الرقمي والأطراف، في إطار ما يمكن تسميته بـ"الأوليغارشية الرقمية"، اذ تتركز القوة المعرفية والاقتصادية والتقنية في أيدي فاعلين قلائل يهيمنون على البنى التحتية والمنصات والخوارزميات[8] ، وتوفر هذه الأطروحة عدسة نظر تحليلية لفهم موقع دول الجنوب ضمن شبكة التبعية الرمزية العالمية، وما يترتب على ذلك من تقويض لإمكانات التنمية المستقلة والمستدامة، سواء على مستوى السيادة المعرفية أو العدالة الاقتصادية أو الحق في تمثيل الذات سردياً ورمزياً.

5. ديناميكيات التأثير و إعادة تشكيل الوعي الشبابي العابر للحدود :

تُظهر الأدبيات المعاصرة حول "الأجيال الرقمية" أن الانخراط الكثيف في شبكات التواصل لا يقود بالضرورة إلى تمكين سياسي أو معرفي راسخ، بل قد يرتبط في كثير من الأحيان بتكريس نزعات استهلاكية معمَّقة، وإعادة تعريف مفاهيم (النجاح والذات) على أساس (الشهرة والظهور الدائم) في الفضاء العام [9]، وفي السياق نفسه، تكشف أبحاث أخرى أنّ الفضاء الرقمي يعيد تشكيل المجال العمومي ورسم الحدود الفاصلة بين الخاص والعام، ويفتح آفاقاً جديدة للتعبير والمشاركة، غير أنه يظل خاضعاً في جوهره لمنطق المنصّة وهيمنة المؤشرات الكمية للانتباه والتفاعل [10]؛ إذ يمكن فهم تحوّلات الهوية والانتماء في مجتمعات الجنوب ضمن إطار أشمل لحركة "الخيال الاجتماعي العابر للحدود" التي تناولها "أبّادوراي"[11]، حيث تُنتج التدفقات الإعلامية والرقمية (مشهدّيات) جديدة تعيد تشكيل تصوّرات الأفراد عن ذواتهم والعالم المحيط بهم، إزاء هذا الواقع المركب، تبرز الحاجة إلى مقاربة نقدية متوازنة لا تقف موقف الرفض المطلق للتكنولوجيا، ولا تنخرط في تبن غير مشروط لها، بل تسعى إلى تعظيم الفرص وتقليص المخاطر من خلال سياسات واعية تُدرك أن الفضاء الرقمي بات ساحة للصراع على (رأس المال الرمزي والاجتماعي) بقدر ما هو فضاء لتداول المعلومات.

---

(7) Mohammed Zayani: Networked Publics and Digital Contention: The Politics of Everyday Life in Tunisia, (Oxford University Press, 2015), pp. 3-28.
(8) Couldry, Nick & Mejias, Ulises A: The Costs of Connection: How Data Is Colonizing Human Life and Appropriating It for Capitalism, (Stanford University Press, 2019), pp. 90–115.
(9) Danah boyd: It's complicated: the social lives of internet-connected teenagers, (Yale University Press, 2014), pp. 176-198.
(10) Sunstein, C. R.: The Divided Republic of Democracy in the Age of social media (Princeton University Press, 2017), pp. 59-97.
(11) Arjun Appadurai: Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization, (University of Minnesota Press, 1996), pp. 27-45.

تكشف المفاهيم النظرية المُستعرَضة في هذا المحور عن بنية مركبة من العلاقات والديناميكيات التي تحكم الفضاء الرقمي المعاصر، فالأوليغارشية الرقمية العالمية لا تُمارس هيمنتها عبر السيطرة التقنية والاقتصادية فحسب، بل تُعيد إنتاج منظومات قيمية ورمزية تتسلل إلى أعماق النسيج الاجتماعي، مُحدِثة تحوّلات جوهرية في أنماط رأس المال الاجتماعي والوعي الجمعي، خاصة لدى الأجيال الشابة؛ وتتجلى هذه التحولات بوضوح أشد في سياقات دول الجنوب، إذ تتقاطع التبعية الرقمية مع اختلالات بنيوية تاريخية، مُنتجة أشكالاً مستحدثة من اللاعدالة الرمزية والمعرفية، إنّ هذه الأُطر المفاهيمية، بما تحمله من قوة تفسيرية، تُهيّئنا لاستكشاف أحد التجليات الأكثر وضوحاً لهذه الهيمنة: البُعد اللغوي–الرمزي للفضاء الرقمي.

فضاء لتداول المعلومات.

تكشف المفاهيم النظرية المُستعرَضة في هذا المحور عن بنية مركبة من العلاقات والديناميكيات التي تحكم الفضاء الرقمي المعاصر، فالأوليغارشية الرقمية العالمية لا تُمارس هيمنتها عبر السيطرة التقنية والاقتصادية فحسب، بل تُعيد إنتاج منظومات قيمية ورمزية تتسلل إلى أعماق النسيج الاجتماعي، مُحدِثة تحوّلات جوهرية في أنماط رأس المال الاجتماعي والوعي الجمعي، خاصة لدى الأجيال الشابة؛ وتتجلى هذه التحولات بوضوح أشد في سياقات دول الجنوب، إذ تتقاطع التبعية الرقمية مع اختلالات بنيوية تاريخية، مُنتجة أشكالاً مستحدثة من اللاعدالة الرمزية والمعرفية، إنّ هذه الأُطر المفاهيمية، بما تحمله من قوة تفسيرية، تُهيّئنا لاستكشاف أحد التجليات الأكثر وضوحاً لهذه الهيمنة: البُعد اللغوي–الرمزي للفضاء الرقمي.

المحور الثاني: المستوى اللغوي– الرمزي في الفضاء الرقمي السيبراني.

إذا كانت الهيمنة الرقمية تتجسّد في بُنى القوة الاقتصادية والتقنية، فإن أحد أعمق تجلّياتها وأكثرها تأثيراً يكمن في (البُعد اللغوي–الرمزي للفضاء السيبراني) ، فاللغة تتجاوز كونها مجرد أداة تواصلية محايدة لتصبح وعاءً حاملاً للفكر، ومكوّناً جوهرياً للهوية، وناقلاً للمعاني والتصوّرات الثقافية، وفي ظل منظومة الأوليغارشية الرقمية، تُمارَس الهيمنة اللغوية بوصفها نمطاً راسخاً من أنماط السيطرة الرمزية والمعرفية التي تُعيد إنتاج التراتبيات العالمية في الفضاء الشبكي، إذ تُسيطر اللغة الإنجليزية بشكل شبه مطلق على الفضاء الرقمي العالمي، سواءً على صعيد البنية التحتية التقنية، أو إنتاج المحتوى الرقمي، أو آليات التفاعل والتداول المعرفي، وهذه الهيمنة لا تعكس واقعاً ديموغرافياً أو حتمية تاريخية فحسب، بل تُكرّس نمطاً ممنهجاً من الإقصاء اللغوي والثقافي يُهمّش اللغات الأخرى ويُقلّص حضورها الرمزي والمعرفي في البيئة الرقمية، ممّا يُفضي إلى تآكل التنوع الثقافي وتقويض العدالة المعرفية في العصر الرقمي، وتتجاوز هذه الهيمنة مجرّد الاستخدام الوظيفي للغة لتغدو (آليةً بنيوية) لاستبطان الرموز والمفاهيم والمنظومات القيمية الغربية في الوعي الجمعي للمجتمعات غير الغربية، بطريقة غير مباشرة وشبه لاواعية، ومن ثمّ توظيفها في

الخطاب الثقافي اليومي بشكل غير محسوس [12]، إذ تُشير الدراسات الحديثة إلى أنّ نحو ٦٧٪ من المحتوى الرقمي العالمي يُنتَج باللغة الإنجليزية، ممّا يُعزّز هذه التراتبية المعرفية ويُكرّس اختلال التوازن اللغوي في الفضاء السيبراني [13]، وتزداد هذه الظاهرة عمقاً عند تحليل تدفّقات البيانات وآليات معالجتها، إذ تكشف الإحصائيات عن تركّز واضح لعمليات معالجة البيانات اللغوية في دول عالم الشمال، كما يتّضح من المؤشرات المعروضة في الجدول أدناه:

الجدول رقم (٢) التوزيع الجغرافي لمعالجة البيانات وتفاوت العوائد الاقتصادية بين الشمال والجنوب العالميين.

نوع البيانات	معالجة في الشمال (%)	معالجة في الجنوب (%)	نسبة الإفادة الاقتصادية العائدة للشمال(%)	التأثير على صناعة القرار
بيانات المستخدمين الشخصية	%87.3	%12.7	%93.6	تغذية خوارزميات توجيه المحتوى والإعلانات
بيانات سلوك المستخدم	%92.8	%7.2	%94.7	توجيه النماذج الاستهلاكية والتنبؤ بالسلوك
بيانات تفاعلات المستخدمين	%89.4	%10.6	%91.8	تحديد الاتجاهات الثقافية والاجتماعية
البيانات اللغوية	%83.7	%16.3	%88.9	تدريب نماذج اللغة وأنظمة الترجمة
البيانات الثقافية والاجتماعية	%76.2	%23.8	%84.3	تحليل وتوجيه المحتوى الثقافي

المصدر: الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على:

United Nations Conference on Trade and Development, Trans- boundary Digital Data Movement (Geneva: United Nations (Publication No.: UNCTAD/DEE/2023/5.

يكشف التحليل المعمّق للأرقام والمؤشرات الواردة في الجدول أعلاه عن نمط مُقلق في توزيع القوة الرقمية على الصعيد العالمي، إذ تتشكّل جغرافيا المعرفة الرقمية وفق بنية غير متكافئة بشكل صارخ. ففي إطار هذه البنية، تُستغَلّ بيانات مستخدمي الإنترنت في دول الجنوب بوصفها مادةً خاماً لتطوير نماذج الذكاء الاصطناعي وأنظمة التنبؤ السلوكي التي تحتكرها شركات التكنولوجيا العملاقة المتمركزة في الشمال العالمي [14]، إذ يُمثّل هذا الاستغلال المعرفي نمطاً متطوراً من أنماط الهيمنة، يمكن توصيفه

(12) روبرت فيليبسون: الإمبريالية اللغوية، ترجمة: عبد الوهاب ترو، (بيروت : مؤسسة الفكر العربي 2020)،ص77.
(13) المرصد العالمي للغات الرقمية :التقرير السنوي عن حالة اللغات في الفضاء الرقمي، (باريس:2024)،ص12.
(14) روبرت تشو : الاستعمار الرقمي وتحديات السيادة المعلوماتية (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مجلة سياسات عربية، المجلد 3، العدد 47، 2023)، ص 173.

مفاهيمياً بـ"الاستعمار الرقمي" (Digital Colonialism)(*) ، الذي يُفرز تداعيات عميقة على البنى الاجتماعية والاقتصادية لدول الجنوب، ويقيد قدرتها على تحقيق أهداف التنمية المستدامة [15]، ويتجلّى هذا الاستعمار في طبيعة العلاقة اللامتكافئة بين منتجي البيانات ومستثمريها؛ فبينما يُسهم مستخدمو الإنترنت في دول الجنوب بكمّيات هائلة من البيانات الشخصية والسلوكية، تعود منافع معالجتها وتحليلها حصرياً إلى الشركات متعددة الجنسيات المتمركزة في دول الشمال، ويُحاكي هذا النموذج الاستخراجي للبيانات، إلى حد بعيد، أنماط استخراج المواد الخام إبّان الحقبة الاستعمارية التقليدية، حيث كانت الموارد المحلية تُستنزف دون تعويض عادل أو مشاركة حقيقية في القيمة المضافة المتولّدة عنها، ويُفضي هذا الواقع إلى تعميق الفجوة الهيكلية في البنية التحتية الرقمية بين الشمال والجنوب، ممّا يُرغم دول الجنوب على الاعتماد المتزايد على الخدمات السحابية والتقنيات المُطوَّرة في الشمال، وهو ما يُكرّس علاقات التبعية التكنولوجية، ويُقلّص قدرة هذه الدول على بناء صناعات تكنولوجية محلية قادرة على المنافسة في الأسواق العالمية؛ وبناءً على ما تقدّم، يُقوّض هذا الواقع السيادة الوطنية لدول الجنوب، إذ يُضعف قدرتها على حماية بياناتها الوطنية وصياغة سياساتها الرقمية بما يخدم أولوياتها التنموية الذاتية. كما يجعل هشاشة السيادة الرقمية هذه الدولَ عُرضةً للتدخلات الخارجية والتأثير غير المتكافئ في دوائر صنع القرار، ممّا يُعيق مساعيها نحو تحقيق تنمية مستدامة منسجمة مع أنساقها القيمية وأولوياتها الوطنية.

المحور الثالث: آليات السيطرة الرقمية على الصناعات الثقافية

(الأوليغارشية العالمية وديناميكيات تطبيع القيم الغربية في البنى الاجتماعية الجنوبية).

تُجسّد الأوليغارشية الرقمية العالمية نموذجاً متقدماً من أنماط السيطرة الناعمة، تتّخذ من الهيمنة الثقافية مدخلاً استراتيجياً لترسيخ علاقات التبعية البنيوية التي تُكبّل دول الجنوب العالمي، وتتجاوز هذه الهيمنة في اشتغالها الحدود التقليدية للنفوذ الاقتصادي والسياسي، لتنفذ عبر مساراتها الخفية إلى الطبقات العميقة للنسيج المجتمعي، مُعيدةً تشكيل البنى الهُويّاتية والمنظومات القيمية

(*) يُجسّد الاستعمار الرقمي (Digital Colonialism) امتداداً معاصراً للنماذج الاستعمارية الكلاسيكية، إذ توظّف القوى المهيمنة البنية التحتية الرقمية للاستحواذ على البيانات والمعلومات الشخصية من دول الجنوب العالمي ومعالجتها، دون الحصول على موافقة مستنيرة من مالكيها الأصليين؛ وتتبنّى الشركات التكنولوجية العملاقة العابرة للقارات، بالتنسيق مع القوى العالمية المهيمنة، نموذجاً استخراجياً يتعامل مع البيانات بوصفها مادة خاماً قابلة للاستغلال، في مماثلة واضحة لأنماط استنزاف الموارد الطبيعية إبّان الحقبة الاستعمارية التقليدية، و يُشكل هذا النمط المستحدث من الهيمنة عائقاً بنيوياً أمام إعمال أهداف التنمية المستدامة، إذ يُكرّس علاقات التبعية الاقتصادية والمعرفية، ويُعمّق الفجوات التنموية بين الشمال والجنوب العالميَّيْن، وتستند الممارسات الاستخراجية الرقمية إلى خطاب تبريري يدّعي احتكار القدرة على تحويل البيانات إلى قيمة مضافة، في محاكاة معاصرة لخطاب "التحضير" و"الرسالة التمدينية" الذي رافق المشروع الاستعماري التقليدي وسعى إلى إضفاء المشروعية عليه؛ وفي ضوء ذلك، تبرز حاجة ملحّة إلى تطوير أُطر تشريعية وسياسات حمائية تضمن السيادة الرقمية لدول الجنوب، وتُوجّه التكنولوجيا نحو خدمة مسارات التنمية المستدامة؛ إذ يستلزم ذلك إحداث تحوّل جذري من نموذج الاستغلال الرقمي القائم إلى نموذج تعاوني يحترم حقوق الشعوب في بياناتها، ويُسهم في تمكينها اقتصادياً ومعرفياً، بما يُعيد التوازن إلى العلاقات الرقمية الدولية ويُرسي أسساً أكثر عدالة للنظام الرقمي العالمي؛ للاستزادة، يُنظر: عبير شفيق الرحباني، الاستعمار الإلكتروني، ط١ (عمّان: دار أسامة للنشر، ٢٠١٥)، ص 73-82.

(15)United Nations: General Assembly Transforming our world 2030 Agenda for Sustainable Development Report 70/1 (New York: United Nations, General Assembly, 2015).

من الداخل؛ لذلك يُقدّم هذا المحور مقاربةً تحليلية متعددة المستويات لظاهرة الهيمنة الثقافية الرقمية وتمظهراتها المركّبة، عبر التركيز على بُعدين جوهريين متلازمين: (البُعد القيمي–السلوكي) بما ينطوي عليه من استراتيجيات هندسة الوعي وإعادة برمجة الأنساق الإدراكية الجمعية، و(البُعد الاقتصادي–الثقافي)الذي يُكرّس احتكار إنتاج المعنى ويُعمّق التبعية في حقول الإبداع والصناعات الثقافية؛ إذ تنبثق الأهمية الإبستيمولوجية لهذا التحليل من قدرته على تفكيك العلاقة الجدلية القائمة بين الاستلاب القيمي والتهميش الثقافي–الاقتصادي، والكشف عن تجلّياتها بوصفها عائقاً بنيوياً يحول دون تحقيق تنمية مستدامة أصيلة، تنبع من السياقات المحلية وتستجيب لاحتياجاتها الفعلية وتحترم منظوماتها القيمية المتوارثة؛ ويُعدّ استيعاب هذه الديناميكيات المعقدة مدخلاً منهجياً لا غنى عنه لاستكشاف فضاءات المقاومة الثقافية الممكنة، وبناء نماذج تنموية بديلة تصون الخصوصيات الحضارية لمجتمعات الجنوب، دون انقطاع عن المشترك الإنساني الكوني.

أولاً: البُعد القيمي–السلوكي — هندسة الوعي وإعادة برمجة المنظومات الإدراكية.

تُمارس الأوليغارشية الرقمية العالمية نفوذها في هذا البُعد عبر الترويج الممنهج لمنظومة قيم ما بعد الحداثة الغربية (Western Postmodern Values)، وتقديمها بوصفها إطاراً معيارياً كونياً يُختزل فيه مفهوم التقدم والتحديث، ويُفضي هذا التسويق الأيديولوجي المكثّف إلى تهميش المنظومات القيمية المحلية ووصمها بالتخلّف والرجعية، في عملية استلاب ثقافي ممتدة تستهدف جوهر الهوية الجمعية، إذ يتجلّى هذا الاستلاب بوضوح في التحوّلات البنيوية العميقة التي تعتري أنماط العلاقات الاجتماعية والروابط الأسرية في مجتمعات الجنوب العالمي عموماً، والمجتمعات العربية والإسلامية على وجه الخصوص[16]، حيث تتآكل تدريجياً المرجعيات القيمية التقليدية لصالح نماذج وافدة تُقدم على أنها التجسيد الأوحد للحداثة والتحرّر. وتُشير المعطيات الإحصائية إلى أن ما يقارب ٧٣% من الشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا باتوا يرون في النماذج الغربية للعلاقات الاجتماعية تعبيراً عن التحرّر والتقدّم [17]، ويرتبط هذا التحوّل في البنى الإدراكية ارتباطاً عضوياً بهيكل السيطرة على البنية التحتية الرقمية وأنماط توزيع الموارد التكنولوجية، وفق ما يُوضّحه الجدول الآتي:

(16) طه عبد الرحمن: روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2016)، ص 93.

(17)عبد الله الحبيب : الاستلاب الرقمي التكنولوجيا والهوية في العالم العربي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2022)، ص 156.

الجدول رقم (٣): التوزيع اللامتكافئ للبنية التحتية الرقمية والموارد التكنولوجية بين الشمال والجنوب العالميين.

عنصر البنية التحتية	نسبة التحكم من الشمال (%)	نسبة الملكية للجنوب (%)	العائد الاقتصادي (مليار دولار)	نسبة العائد للشمال (%)
كابلات الإنترنت البحرية	%83.7	%16.3	426	%91.4
مراكز البيانات العالمية	%78.9	%21.1	591	%87.8
نقاط تبادل الإنترنت	%74.6	%25.4	173	%82.3
شبكات توصيل المحتوى	%92.1	%7.9	34.8	%95.6
الخوادم السحابية	%87.3	%12.7	612	%93.8

المصدر: الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على:

United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (UNESCO): Measuring Cultural Diversity in the Digital Environment (Paris: UNESCO Publishing, Document No. (2024/220/EX/1; EX/2.

تكشف هذه المعطيات أنّ سيطرة الأوليغارشية الرقمية على البنية التحتية التكنولوجية تشكّل مساراً خفياً لترسيخ العلاقات اللامتكافئة في المشهد الرقمي العالمي، بما يضمن تدفّق الجزء الأعظم من العوائد الاقتصادية نحو مراكز القوة في دول الشمال، غير أنّ هذه الهيمنة البنيوية تتعدّى البُعد المادي الاقتصادي لتتحوّل إلى آلية فاعلة في فرض منظومات قيمية وأنساق سلوكية بعينها على المستخدمين في دول الجنوب، عبر ما يمكن تسميته بـ"الاستعمار الخوارزمي للوعي."

ثانياً: البُعد الاقتصادي الثقافي — احتكار إنتاج المعنى وتجفيف منابع الإبداع المحلي .

تُحكم الأوليغارشية الثقافية الغربية قبضتها على مسارات الإنتاج والتوزيع العالمي للمحتوى الثقافي، محولة إياه إلى سلعة استهلاكية تخضع لمنطق السوق الرأسمالي وآلياته الاحتكارية، وتُسفر هذه الهيمنة عن تهميش منهجي للإنتاجات الثقافية المحلية، أو إخضاعها لعمليات إعادة تشكيل قسرية وفق معايير دول الشمال وسردياته المهيمنة، بما يجعلها قابلة للتسويق في الفضاء المعولم، لكن على حساب أصالتها وخصوصيتها الحضارية، إذ تُظهر الإحصاءات الراهنة أنّ ما يتجاوز ٨٢% من حركة التدفقات الثقافية العالمية تقع تحت سيطرة مؤسسات إنتاجية غربية وتكتّلات احتكارية عابرة للحدود [18]، في تجل صارخ لاختلال موازين القوى في الاقتصاد الثقافي العالمي:

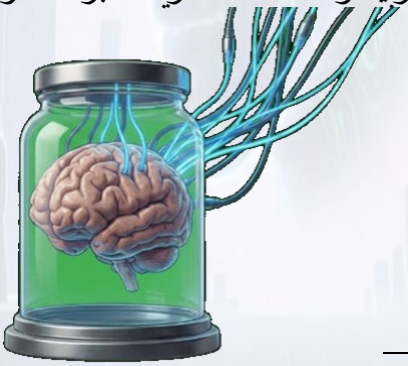

(18) Armand Matlara: Building Networks in the World, 1794-2000 (USA: Universi- ty of Minnesota Press, 2020), p. 203.

الجدول رقم (٤): اقتصاديات الهيمنة — المنصّات الرقمية وتدفّقات المحتوى الثقافي العالمي.

المؤشر الاقتصادي	نسبة السيطرة للشمال (%)	نسبة السيطرة للجنوب (%)	حجم التأثير الاقتصادي (مليار دولار)	الأثار الثقافية المترتبة
عائدات الإعلانات الرقمية	%88.3	%11.7	627	تشكيل أنماط الاستهلاك
اقتصاد التطبيقات	%86.7	%13.3	389	تصدير نماذج خدمية غربية
التجارة الالكترونية	%77.2	%22.8	2476	فرض معايير تسويقية وتوزيعية
صناعة الالعاب الالكترونية	%84.5	%15.5	218	نقل منظومات قيمية ضمنية
خدمات البث الرقمي	%91.8	%8.2	306	هيمنة المحتوى الترفيهي الغربي

المصدر: الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على:

Global Alliance for the Digital Economy, Digital Economy Re- port 2023, (Geneva: Global Alliance for the Digital Economy. Publications, Annual Report No. WDE/R/2023/04) pp. 67-89

تُميط هذه المعطيات اللثام عن شبكة معقدة من العلاقات اللامتكافئة في الفضاء الرقمي العالمي، تتجاوز الأبعاد الاقتصادية الصرفة لتشكل منظومة متكاملة من الهيمنة الثقافية والقيمية، فالسيطرة على صناعات المحتوى الرقمي وخدمات البث تتخطى حدود التنافس التجاري لتغدو استراتيجيات ممنهجة ومستدامة ترمي إلى احتكار إنتاج المعنى وترسيخ النماذج الثقافية الغربية معياراً كونياً أوحد، تتبدى هذه الهيمنة في الحضور الكاسح لمنصّات البث الرقمي العملاقة نتفليكس(Netflix) ، وديزني بلس (Disney)، وأمازون برايم (Amazon Prime) في الأسواق العالمية، وتضخ هذه المنصات مليارات الدولارات في إنتاج محتوى ترفيهي يُجسّد في بنيته العميقة رؤى ومنظومات قيمية غربية، ويُعيد صياغة المخيال الجمعي للمجتمعات المستهلِكة وفق قوالب ثقافية محددة سلفاً، في عملية استعمار ناعم للوجدان[19] ، إذ يجري تسويق هذا الاختراق الثقافي الممنهج عبر سياسات مركبة تُدمج بين الترفيه والإعلان والتسويق الثقافي، مستثمرة التقنيات المتطورة في تحليل البيانات الضخمة (Big Data Analytics)، والخوارزميات التنبّؤية (Predictive Algorithms) التي تُتيح استبصاراً دقيقاً بسلوكيات المستخدمين وتفضيلاتهم وميولهم النفسية، ويسير تدفق المحتوى الثقافي الاجتماعي عبر هذه المنصّات في اتجاه أحادي شبه مطلق من الشمال إلى الجنوب مما يُرسّخ البنية التراتبية اللامتكافئة للعلاقة بين منتجي الثقافة الرقمية ومستهلكيها، وفي حين تستثمر دول الشمال في تشييد صناعات إبداعية متكاملة وتطوير بنى تحتية متقدّمة للإنتاج الرقمي، يقتصر دور معظم دول الجنوب على توفير أسواق استهلاكية للمنتجات الثقافية المستوردة؛ يُعمّق هذا النموذج الاستهلاكي أحادي الاتجاه التبعية البنيوية، ويُقوّض مساعي بناء

(19) جوزيف س.ناي: القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، تقديم عبد العزيز عبد الرحمن الثنيان (الرياض: العبيكان للنشر والتوزيع 2007)، ص 48.

صناعات محتوى محلية قادرة على المنافسة، مما يُفضي إلى إفقار التنوّع الثقافي العالمي ويُهدّد ديمومة أشكال التعبير الإبداعي المتمايزة.

خلاصة القول : يتّضح جلياً أنّ الهيمنة الثقافية الرقمية للأوليغارشية العالمية تُمثّل تحدّياً وجودياً بالغ الخطورة أمام مساعي التنمية المستدامة والاستقلال الحضاري في دول الجنوب العالمي، وتستدعي مواجهة هذا التحدّي وعياً نقدياً معمَّقاً بأبعاده المتشابكة ومساراته الخفية، فضلاً عن إرادة سياسية راسخة لصياغة بدائل تنموية تُعزز (السيادة الثقافية الرقمية)، وتحفظ للمجتمعات خصوصياتها الحضارية في ظل النظام العالمي المتحول.

المحور الرابع: دينامية القوة الناعمة الرقمية وآليات التثقيف الترفيهي

(من الهيمنة المباشرة إلى الاستعمار الذاتي).

تتميز سياسات القوة الناعمة التي تنتهجها القوى الغربية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، بقدرة فائقة على التكيف والتجدد المستمر، فقد انتقلت من النماذج التقليدية المباشرة للهيمنة الثقافية إلى آليات أكثر تعقيداً وتخفياً، إذ اصبحت توظف صناعات التسلية والترفيه كواجهات لتمرير المضامين الأيديولوجية، وتتجسد هذه السياسات في ظاهرة التثقيف الترفيهي"Edutainment" (*) التي تدمج الرسائل السياسية والقيم الاجتماعية في محتوى ترفيهي جذاب ميسرة بذلك اختراق الوعي الجمعي للمجتمعات المستهدفة [20]؛ إذ تستثمر هذه المنظومة بكثافة في صناعة الرموز والأيقونات الثقافية العالمية كـ (المشاهير، الرياضيين، نجوم الموسيقى)، محولة إياهم إلى سفراء ثقافيين غير رسميين، هؤلاء الأبطال الثقافيون يشكلون نماذج مرجعية للشباب في مختلف أنحاء العالم، مما يعزز آليات التماهي مع المنظومة الثقافية الغربية والانبهار بتمثلاتها المختلفة؛ وقد أظهرت الدراسة النفسية الاجتماعية الحديثة

(*) يعد التثقيف الترفيهي (Edutainment) استراتيجية إبستمولوجية-سياسية بالغة التعقيد، تنهض على التضفير المنهجي للحمولات الأيديولوجية داخل أنساق المحتوى الترفيهي عالي الجاذبية، محدثة بذلك تحولات تراكمية في البنى الإدراكية والمعرفية للمتلقين دون إثارة مقاوماتهم الواعية، و تتجاوز هذه الظاهرة في جوهرها العميق، حدود التسلية العابرة والاستهلاك الثقافي السطحي، لتغدو ممارسة ممنهجة في (الهندسة الاجتماعية الناعمة)؛ إذ تعمل على تطبيع منظومات قيمية بعينها وترسيخها في طبقات اللاوعي الجمعي، عبر آليات التكرار والإغراق والتماهي العاطفي مع النماذج السردية المقدمة؛ وفي سياق البنية اللامتماثلة لعلاقات القوى العالمية، تبرز هذه الآلية بوصفها إحدى أرقى أدوات الهيمنة الثقافية الناعمة التي تستثمرها المراكز الكونية المُهيمنة؛ ساعية إلى إعادة تشكيل الأُطر المرجعية، وزعزعة التصورات الذاتية، وإعادة برمجة المخيال الجمعي لمجتمعات الجنوب العالمي، بما يُعيد إنتاج التبعية البنيوية ويُرسّخ المصالح الجيوسياسية والاقتصادية للفاعلين المركزيين. للاستزادة، يُنظر:

Sengal, Arvind; Cody, Michael J.; Rogers, Everett M.; Sapido, Miguel (eds.): Entertainment, Education and Social Change: History, Research and Practice, (Lawrence (Earlbaum Publishing, 2024

(20) Jenkins, H.: Convergent Power: Solidarity in New Media, (New York: The New Press, 2022), p. 174.

أن 64% تقريباً من المراهقين في العالم يتخذون من المشاهير الغربيين نماذج ملهمة لهوياتهم وتطلعاتهم [21] ، ويمكننا فهم ذلك بشكل أعمق من خلال استعراض أرقام وبيانات تأثير منصات التواصل الاجتماعي كاليات رئيسة للتأثير الثقافي وكما موضح بالجدول ادناه :

الجدول رقم (5) تأثير منصات التواصل الاجتماعي وديناميتها.

منصة التواصل	نسبة المستخدمين من دول الجنوب	نسبة المحتوى المنتج في الشمال	متوسط وقت الاستخدام اليومي (دقيقة)	نسبة المحتوى الذي يعزز القيم الغربي (%)
فيسبوك	%72.3	%76.4	65	%83.7
إنستغرام	%68.9	%81.2	53	%87.2
تيك توك	%77.1	%68.3	86	%74.6
تويتر / إكس	%61.5	%84.7	42	%89.3
يوتيوب	%73.8	%79.6	72	%81.9

المصدر: الشكل من إعداد الباحث بالاعتماد على:

Global Communication Studies Institute: Mapping Global Digital Platforms and Impact Analysis (Brussels: Global Communication Studies Institute Publications, Annual Report No. GCSI-MPA-2024-02), pp. 57-89.

تكشف الأرقام و البيانات أعلاه مفارقة لافتة تتلخص في : (على الرغم من أن غالبية مستخدمي منصات التواصل الاجتماعي ينتمون إلى عالم الجنوب ، فإنّ المحتوى المهيمن على هذه المنصات ينتج غالباً في دول الشمال)، ويروج لقيمها وثقافاتها ، هذه الدينامية تجعل من منصات التواصل الاجتماعي آليات فعالة لما يُعرف بـ (الاستعمار الذاتي–Self–colonization)[*] ، إذ يتبنّى المستخدمون في دول الجنوب طواعية القيم والنماذج الثقافية للشمال، في عملية استدماج ثقافي تتم دون إكراه خارجي

(21) Marwan Kraidy: The Relationship of Television to Arab Politics: Content in Public Life, (Cambridge Investment Publishing, UK, Cambridge University Press, 2018), p. 98.

(*) يُشكل الاستعمار الذاتي (Self-colonization) مفهوماً سوسيو-نفسياً محورياً، يُضيء على حالة الاغتراب البنيوي التي يعيشها الفرد حين ينفصل عن ذاته الأصيلة، جرّاء خضوعه المتواصل والتدريجي للأنساق الرمزية وآليات الضبط الثقافي والمعياري التي تُمارسها عليه قوى الهيمنة؛ إذ تُعاد صياغة هويته وإرادته وفق نماذج إدراكية مُستورَدة، لا تنبثق من احتياجاته الوجودية ولا تعكس قيمه الجوهرية العميقة؛ في هذا السياق يغدو الفرد أسيراً لمنظومات رمزية مُعَولَمة؛ يتماهى معها دون وعي نقدي أو مساءلة إبستيمية، ويُعيد إنتاجها في ممارساته اليومية وتمثّلاته الذهنية، كما لو كانت تعبيراً عفوياً عن ذاته الحرة، بينما هي في حقيقتها تجسيد للهيمنة المُستبطَنة والضبط الاجتماعي المُحتجِب خلف أقنعة الحرية والاختيار، يُعدّ هذا المفهوم نتيجةً مباشرة لتغلغل سياسات الهيمنة في (البنية السيكو-ثقافية) للأفراد والجماعات، لا سيما في مجتمعات الجنوب العالمي التي تتعرض لضغوط أجندات مفروضة من خارج سياقاتها الحضارية؛ فتجد هوياتها ومصالحها الذاتية وقد أُعيد تشكيلها قسرياً لتخدم منطق المركز وأولوياته الجيوسياسية، من هنا يُعبّر الاستعمار الذاتي عن (انهيار الفاعلية الذاتية) ، واضمحلال ملَكة الوعي النقدي، وتآكل القدرة على المقاومة الرمزية؛ لصالح بنية ذهنية وسلوكية مُبَرمَجة، تتطابق تلقائياً مع مصالح القوى المُهيمنة على المستويين المحلي والكوني، مُحولةً الذات إلى أداة لإعادة إنتاج تبعيتها بوصفها فعلاً إرادياً حُرّاً. للاستزادة، يُنظر:

Caldry, Nick and Mejias, Ulysses A.: The Costs of Connectivity: How Data Colonizes and Exploits Human Life for Capitalism (Stanford University Press, 2019).

مباشر، بل عبر آليات الإغواء والجاذبية التي توفّرها صناعات الترفيه الرقمي ؛ غير أنّ هذه الهيمنة الثقافية تواجه اليوم تحدياتٍ متزايدة وأشكالاً من المقاومة تتجلّى في صعود حركات إحياء الهويات المحلية وتنامي الوعي النقدي بآليات الاختراق الثقافي؛ كما أنّ ظهور أقطاب ثقافية وإعلامية منافسة في الشرق كـ (الصين ، الهند ، وروسيا) يفرض تحوّلات في الخريطة العالمية للنفوذ الثقافي، ويُنذر بتشكّل نظام ثقافي عالمي أكثر تعدديةً وتنوعاً، وإن ظلّت الأوليغارشية الغربية مهيمنةً على المشهد الثقافي الرقمي العالمي في الوقت الراهن.

الخاتمة والتوصيات:

تكشف هذه الدراسة عن إعادة تشكيل جذرية لعلاقات القوة العالمية في الحقبة الرقمية، حيث لم يعد الفضاء الرقمي مجرد وسيط تقني محايد، بل أضحى ميداناً استراتيجياً لإنتاج الهيمنة وإعادة إنتاجها عبر أشكال مستحدثة من التبعية البنيوية، فقد أثبت التحليل المتعدد المستويات الذي اعتمدته الدراسة أن سيطرة الأوليغارشية الرقمية العالمية تتجاوز البعد الاقتصادي–التقني لتخترق الأنساق الثقافية والمعرفية والقيمية لمجتمعات الجنوب، مُنتجةً أنماطاً جديدة من الاستعمار الخوارزمي للوعي تعمل بصمت وفعالية فائقة؛ إذ تُظهر النتائج الإمبيريقية والتحليلية التي توصلت إليها الدراسة أن الآليات الخوارزمية لا تكتفي بتنظيم المحتوى، بل تُشكّل البنى الإدراكية والمعرفية للمستخدمين من خلال نظم توصية مصممة لتعظيم الانخراط (Engagement) على حساب الجودة المعرفية أو القيمة التنموية، وفي السياقات العربية والجنوبية، حيث تتقاطع هشاشة البنية التحتية المؤسسية مع ارتفاع معدلات الاختراق الرقمي بين الشباب، تتضاعف تأثيرات هذه المنظومة في اتجاه تفكيك رأس المال الاجتماعي التقليدي، وتعميق الاستقطاب المجتمعي، وإعادة تعريف الهويات الفردية والجماعية وفق أطر مرجعية غربية النشأة والتوجه؛ غير أن الدراسة تتجنب الوقوع في الحتمية التكنولوجية التشاؤمية، إذ تُقرّ بأن الفضاء الرقمي يحمل في طياته إمكانات تحررية وتنموية حقيقية، شريطة توفر إرادة سياسية فاعلة وأطر مؤسسية وسياساتية قادرة على تحويل هذه الإمكانات إلى واقع ملموس، وبذلك فإن المعضلة ليست في الرقمنة ذاتها، بل في نمط الاندماج في المنظومة الرقمية العالمية: هل يكون اندماجاً قائماً على التبعية والاستتباع، أم على الشراكة والسيادة؟

آولاً : التوصيات السياساتية – نحو أجندة تنموية رقمية متكاملة .

بناءً على هذا التشخيص التحليلي، تقدّم الدراسة إطاراً استراتيجياً متعدد الأبعاد لبناء سيادة رقمية تنموية في مجتمعات الجنوب، يرتكز على خمسة محاور متكاملة:

1. السيادة على البنية التحتية الرقمية والبيانات.

- إنشاء مراكز بيانات وطنية وإقليمية تضمن خزن البيانات الحساسة محلياً وتقلل التبعية للبنى التحتية الغربية.
- تطوير معايير وطنية لحوكمة البيانات تحمي خصوصية المواطنين وتمنع الاستغلال التجاري غير المنظم.
- الاستثمار في تقنيات السحابة المحلية والإقليمية كبديل استراتيجي للاعتماد الكامل على الشركات الأجنبية.
- بناء قدرات تقنية وطنية في مجالات الذكاء الاصطناعي، تحليل البيانات الضخمة، والأمن السيبراني.

2. الأطر التنظيمية والحوكمة الرشيدة للمنصات .

– سن تشريعات ملزمة تُلزم المنصات العالمية بالشفافية الخوارزمية، والمساءلة عن المحتوى، والامتثال للمعايير المحلية.

– فرض حصص إلزامية للمحتوى المحلي على منصات البث والترفيه الرقمي، على غرار التجربة الأوروبية (EU Audiovisual Directive).

– إنشاء هيئات تنظيمية مستقلة متخصصة في الحوكمة الرقمية، تتمتع بصلاحيات رقابية وتقييمية فعلية.

– تطوير آليات شكاوى ومحاسبة شفافة وسريعة لحماية المستخدمين من انتهاكات المنصات.

3. التربية الرقمية النقدية وبناء رأس المال البشري.

– إدماج التربية الإعلامية والرقمية النقدية في المناهج التعليمية من المرحلة الابتدائية، مع التركيز على تفكيك الآليات الخوارزمية وفهم اقتصاد الانتباه.

– تطوير برامج تدريب وطنية لإعداد كوادر متخصصة في تصميم المنصات، إدارة البيانات، والأخلاقيات الرقمية.

– تأهيل المعلمين والمربين لتمكينهم من مواكبة التحولات الرقمية وتوجيه الأجيال الشابة توجيهاً نقدياً واعياً.

– دعم البحث العلمي الوطني في حقول الدراسات الرقمية، السلوك الرقمي، والآثار الاجتماعية للتكنولوجيا.

4. السياسات الثقافية والإعلامية الرقمية:

– تأسيس صناديق دعم وطنية وإقليمية للإنتاج الثقافي والإعلامي الرقمي المحلي، مع التركيز على المحتوى الموجه للشباب.

– تطوير منصات بديلة محلية وإقليمية للبث والمشاركة، تحترم التنوع الثقافي واللغوي وتعزز القيم التنموية.

– حماية التراث الثقافي الرقمي وتشجيع رقمنة المحتوى التراثي والمعرفي المحلي بطرق تحفظ حقوق الملكية .

– بناء شراكات استراتيجية بين دول الجنوب لتعزيز التدفق الثقافي الجنوبي–الجنوبي كبديل للتدفق الشمالي–الجنوبي أحادي الاتجاه .

5. الحوكمة التشاركية والإشراك المجتمعي.

– إنشاء مجالس استشارية متعددة الأطراف تضم ممثلين عن الحكومة، القطاع الخاص، المجتمع المدني، الأكاديميا، والشباب في صياغة السياسات الرقمية.

– اعتماد آليات تقييم الأثر الرقمي (Digital Impact Assessment) لكل سياسة عامة كبرى، لقياس آثارها على التماسك الاجتماعي والعدالة.

– تمكين منظمات المجتمع المدني من ممارسة دور رقابي مستقل على ممارسات المنصات والسياسات الحكومية.

– تشجيع المبادرات الشبابية الرقمية التي تخدم أهداف التنمية المستدامة وتعزز المشاركة المدنية الفاعلة.

ثانياً : الأفق البحثي والدعوة إلى التراكم المعرفي

تُدرك الدراسة أن الظاهرة الرقمية بطبيعتها متحولة ومتسارعة، مما يستدعي بناء تقليد بحثي نقدي مستدام في العالم العربي والجنوبي. ولذلك، تدعو إلى:

– إجراء دراسات إثنوغرافية وميدانية معمقة حول أنماط الاستخدام الرقمي وتحولات الهوية والوعي لدى فئات عمرية وطبقات اجتماعية متنوعة.

– تطوير مؤشرات كمية ونوعية لقياس السيادة الرقمية، العدالة الرقمية، والتماسك الاجتماعي في السياقات الرقمية.

– بناء قواعد بيانات مفتوحة حول السياسات الرقمية المقارنة وتجارب الحوكمة الناجحة في دول الجنوب.

– تشجيع البحوث متعددة التخصصات التي تجمع بين علم الاجتماع، الاقتصاد السياسي، علوم الحاسوب، والدراسات الثقافية.

ثالثاً: الخلاصة الختامية: نحو عقد اجتماعي رقمي جديد.

إن التحدي الذي تطرحه الأوليغارشية الرقمية العالمية ليس مجرد معضلة تقنية أو اقتصادية، بل هو مسألة وجودية تتعلق بقدرة مجتمعات الجنوب على تقرير مصيرها الثقافي والحضاري في عالم تتحكم فيه الخوارزميات في تشكيل المعنى وتوزيع القيمة؛ إن مواجهة هذا التحدي تتطلب تجاوز المقاربات الدفاعية أو الرقابية الضيقة، والانخراط في "مشروع حضاري شامل "يُعيد بناء العلاقة مع التكنولوجيا على أسس السيادة والعدالة والاستدامة، إذ إن السيادة الرقمية ليست ترفاً فكرياً ولا عودة حنينية إلى الماضي، بل هي شرط ضروري للتنمية المستدامة في القرن الحادي والعشرين، فالمجتمعات التي تفقد السيطرة على بنيتها الرقمية وفضائها الثقافي الرقمي تفقد، بالضرورة، قدرتها على صياغة رؤيتها الخاصة للمستقبل والدفاع عن مصالحها الاستراتيجية وعليه، فإن الدعوة التي تختم بها هذه الدراسة ليست موجهة إلى صانعي القرار فحسب، بل إلى المجتمع بأسره: أكاديميين، مثقفين، تقنيين، ناشطين، وشباباً، إنها دعوة إلى الوعي النقدي الجماعي بطبيعة التحولات الجارية، وإلى الوعي النقدي الجماعي بطبيعة التحولات الجارية، وإلى المشاركة الفاعلة في بناء فضاء رقمي يعكس قيمنا وطموحاتنا التنموية، بدلاً من الاستسلام السلبي لمنطق المنصات وخوارزمياتها ، اذ إن المعركة على التنمية في عصر المنصات هي، في جوهرها، معركة على المعنى والقيمة: من يملك الحق في تحديد ما هو مهم؟ من يُشكّل الأجندة الثقافية اليومية للأجيال الصاعدة؟ من يحدد معايير النجاح والفشل، الجمال والقبح، المقبول والمرفوض؟ هذه ليست أسئلة فلسفية مجردة، بل هي أسئلة سياسية واستراتيجية تحدد مسارات التنمية ومآلات المجتمعات على المدى الطويل؛ إن الإجابة عن هذه الأسئلة لن تأتي من الخارج، ولن تُفرض بقرارات بيروقراطية فوقية، بل يجب أن تنبثق من حوار مجتمعي ديمقراطي عميق حول نوع العلاقة التي نريد بناءها مع التكنولوجيا، ونوع المجتمع الرقمي الذي نطمح إلى تشييده، إنها دعوة إلى عقد اجتماعي رقمي جديد يُوازن بين الانفتاح على الإمكانات التحررية للتكنولوجيا، والحماية من مخاطر الهيمنة والاستغلال؛ عقد يحفظ الحقوق الفردية دون تفكيك الروابط الجماعية، ويعزز الاندماج في الاقتصاد الرقمي العالمي دون الوقوع في شرك التبعية البنيوية، إن نجاح هذا المسعى يتطلب إرادة سياسية جماعية على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية، وقدرة على التفكير الاستراتيجي طويل الأمد يتجاوز المكاسب الآنية والحلول التقنية الجزئية. كما يتطلب شجاعة فكرية للخروج

من دوائر التقليد الأعمى للنماذج الغربية، واستلهام تجارب تنموية رقمية بديلة تنطلق من الخصوصيات الثقافية والحاجات الفعلية لمجتمعاتنا ، إذ إن الرهان الحقيقي ليس على رفض العولمة الرقمية أو الانعزال عنها، بل على القدرة على التفاوض مع شروطها من موقع قوة لا ضعف، ومن موقع فاعل مُنتج لا مستهلك سلبي، وإن مجتمعات الجنوب التي تنجح في بناء سيادتها الرقمية ستكون قادرة على تحويل التحدي الرقمي إلى فرصة تنموية استثنائية، بينما تلك التي تتأخر في هذا المسار ستجد نفسها محكومة بالتهميش المتزايد في الاقتصاد والثقافة العالميين؛

في الختام إن هذه الدراسة لا تدّعي تقديم إجابات نهائية أو وصفات جاهزة، بل تسعى إلى فتح نقاش نقدي ضروري حول أحد أخطر التحديات التنموية في عصرنا. إنها محاولة لرسم خريطة أولية لميدان معقد ومتشابك، وإسهام متواضع في بناء وعي جماعي بالمخاطر والفرص التي ينطوي عليها الفضاء الرقمي المعاصر، والأمل معقود على أن تُحفّز هذه الدراسة مزيداً من البحوث الميدانية والنظرية، ومزيداً من المبادرات السياساتية والمجتمعية، التي تُسهم مجتمعة في بناء مستقبل رقمي أكثر عدالة وسيادة واستدامة لشعوب الجنوب؛ إذ إن المستقبل ليس قدراً محتوماً تكتبه الخوارزميات، بل هو مشروع إنساني نبنيه بوعينا وإرادتنا وقدرتنا على الفعل الجماعي المنظم، وفي هذا المشروع، لا مكان للحياد: فإما أن نكون فاعلين في تشكيل الفضاء الرقمي، أو سنكون مفعولاً بهم في مشاريع الآخرين والخيار في نهاية المطاف خيارنا.

المصادر

- جوزيف س.ناي: القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، تقديم عبد العزيز عبد الرحمن الثنيان (الرياض: العبيكان للنشر والتوزيع 2007).
- روبرت تشو : الاستعمار الرقمي وتحديات السيادة المعلوماتية (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مجلة سياسات عربية، المجلد 3، العدد 47، 2023).
- روبرت فيليبسون: الإمبريالية اللغوية، ترجمة: عبد الوهاب ترو، (بيروت : مؤسسة الفكر العربي 2020).
- طه عبد الرحمن: روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2016).
- عبد الله الحبيب : الاستلاب الرقمي التكنولوجيا والهوية في العالم العربي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2022).
- عبير شفيق الرحباني، الاستعمار الإلكتروني، ط١ (عمّان: دار أسامة للنشر، ٢٠١٥).
- المرصد العالمي للغات الرقمية :التقرير السنوي عن حالة اللغات في الفضاء الرقمي، (باريس:2024).
- Antonio Gramsci: Selections from the Prison Notebooks,(International Publishers, 1971).
- Arjun Appadurai: Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization,(University of Minnesota Press , 1996).
- Armand Matlara: Building Networks in the World, 1794-2000 (USA: Universi- ty of Minnesota Press, 2020).
- Caldry, Nick and Mejias, Ulysses A.: The Costs of Connectivity: How Data Colonizes and Exploits Human Life for Capitalism (Stanford University Press, 2019).
- Couldry, Nick & Mejias, Ulises A: The Costs of Connection: How Data Is Colonizing Human Life and Appropriating It for Capitalism,(Stanford University Press, 2019).
- Danah boyd: It's complicated: the social lives of internet-connected teenagers,(Yale University Press, 2014).
- Global Alliance for the Digital Economy, Digital Economy Re- port 2023, (Geneva: Global Alliance for the Digital Economy .Publications, Annual Report No. WDE/R/2023/04) United Nations Educational, Scientific and Cultural Organi- zation (UNESCO): Measuring Cultural Diversity in the Dig- ital Environment (Paris: UNESCO Publishing, Document No. (2024/220/EX/1; EX/2.
- Global Communication Studies Institute: Mapping Global Digital Platforms and Impact Analysis (Brussels: Global Com- munication Studies Institute Publications, Annual Report No. GCSI-MPA-2024-02).
- James Coleman: Social Capital in the Creation of Human Capital,(American Journal of Sociology, Vol. 94, Supplement 1988.
- Jenkins, H.: Convergent Power: Solidarity in New Media, (New York: The New Press, 2022).
- Marwan Kraidy: The Relationship of Television to Arab Politics: Content in Public Life, (Cambridge Investment Publishing, UK, Cambridge University Press, 2018).
- Mohammed Zayani: Networked Publics and Digital Contention: The Politics of Everyday Life in Tunisia,(Oxford University Press, 2015).
- Nick Srnicek: Platform Capitalism,(Polity Press, 2017).

- Organization for Economic Co-operation and Development (OECD): Digital Governance Indicators, Global Own-ership and Governance of Digital Platforms Report (Paris: OECD Publishing, Document No. OECD-DEO-2023-117).
- Robert Putnam: Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community,(Simon & Schuster, 2000).
- Sengal, Arvind; Cody, Michael J.; Rogers, Everett M.; Sapido, Miguel (eds.): Entertainment, Education and Social Change: History, Research and Practice, (Lawrence Earlbaum Publishing, 2024)
- Shoshana Zuboff : The Age of Surveillance Capitalism: The Fight for a Human Future at the New Frontier of Power, (PublicAffairs ,2019).
- Sunstein, C. R.: The Divided Republic of Democracy in the Age of Social Media (Princeton University Press, 2017).
- Tarleton Gillespie: Custodians of the Internet: Platforms, Content Moderation, and the Hidden Decisions That Shape Social Media,(Yale University Press,2018).
- United Nations Conference on Trade and Development, Trans- boundary Digital Data Movement (Geneva: United Nations (Publication No.: UNCTAD/DEE/2023/5.
- United Nations: General Assembly Transforming our world 2030 Agenda for Sustainable Development Report 70/1 (New York: United Nations, General Assembly, 2015).
- World Economic Forum: Global Technology and Digital Workforce Report (Davos: Forum International Publications No. WEF-DGT-2024-03).